مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 01 (2021) - ص 147- 156

خطاب النبي إبراهيم مع أبيه آزر: مقاربة تداولية من منظور نظرية أفعال الكلام

The discourse of the Prophet Abraham with his Father Azer :A pragmatics approach from the perspective of speech Acts theory

نبيل محمد صغير
جامعة مولود معمري- تيزي وزو/ الجزائر
nabilserir@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/06/26 تاريخ القبول: 2020/09/20 تاريخ النشر: 2021/01/15

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى فهم آليات الحوار داخل خطاب النبي ابراهيم مع أبيه آزر، عن طريق تحليلات تداولية تركز على نظرية أفعال الكلام، من أجل فهم تراتبطاتها داخل هذا الخطاب القرآني، كما يدافع هذا البحث عن جدوى المقاربات التداولية وضرروتها في فهم مختلف الحوارات والخطابات، لأن المفاهيم التي تأسست عليها هي مفاهيم انسانية وصالحة للتطبيق على مختلف النصوص والثقافات، وقد عثرنا على ملامح تداولية في تراثنا البلاغي.

الكلمات المفتاحية: التداولية؛ الأفعال الكلامية ، الحوار، الخطاب القرآني، كونية الفكر التداولي.

ABSTRACT:

This research approaches the mechanisms of dialogue within the speech of the Prophet Ibrahim With his father Azar. through pragmatics analyzes focusing on the theory of speech acts, in order to understand their correlations within Quranic discourse, as this research defends the usefulness of pragmatics approaches and their necessity in various discourses, because the concepts which it is founded are humanistic, and we have Many concepts of pragmatics in our rhetorical heritage.

Keywords; pragmatics, Speech Acts, Conversation, Quranic discourse, the universality of pragmatics thought.

مقدّمة:

سنحاول في هذه المقاربة التداولية لخطاب إبراهيم مع أبيه آزر، التركيز على خصائص الأفعال الكلامية الواردة في بنية الخطاب، عبر الاستعانة بطروحات : سيرل وأوستين وغرايس، دون أن نخرج إلى مقاربات نقدية أخرى، كما يفعل النقاد والباحثون في تحليل الخطاب الشعري أو السردي، الذي يمكن فيه استعمال التفكيك وبعض الإجراءات السيميائية والبنيوية لغرض فهم بنياته وشيفراته وأنساقه. وهذا الابتعاد عن التفكيك يأتي إيمانا بخطورة استعمال مناهج قد يكون من غير اللائق توظيفها مفاهيمها في تحليل الخطاب القرآني*، كالتفكيك، مثلا، الذي قد يوقعنا ببعض مقولاته النقدية ذات الخلفيات اللاهوتية :(الانتشار، الإخ(ت)لاف، الأثر) في الكثير من المطبات والهانات.

ومن ثم، جاء تركيزنا الرئيس على الطرح التداولي من خلال فحص الأفعال الكلامية الجزئية في تفاعل بعضها ببعض، من أجل الوصول إلى أفعال كلامية أكبر منها، هي الأخرى تتفاعل لتدافع عن القضية البؤرة أو الفعل الكلامي الابتدائي الكلي، من خلال ملفوظات الخطاب، عبر **مبحثين مترابطين منهجيا**.

ويأتي هذا التحليل ليكشف عن ظاهرة التأدّب التي شكلت استراتيجية حجاجية مهمة، خصوصا في كونها ترتفع في بعض الحالات، فيما تخفت في حالات أخرى؛ أين يتم التحوّل من الترغيب إلى الترهيب والتخويف.

وهنا نطرح عدة إشكالات، من بينها: هل يمكن قراءة الخطاب القرآني تداوليا؟ وكيف يمكن للخطاب القرآني أن يساهم في نقد بعض مفاهيم التداولية (قانون التأدب مثلا)؟

1- المبحث الأول: دينامية الملفوظات الخطابية.

تشتغل الملفوظات الخطابية داخل النصوص المنسجمة ببراعة وإحكام، فتروم تحقيق كفاءة ومقصدية معينتين، عبر الأفعال الكلامية التي تنتجها، فلا تتراصف هذه الملفوظات بطريقة اعتباطية، بقدر ما تكون داخل استراتيجية خطابية وبنية نصية ترتبط بمنطق الخطاب التداولي وديناميته الداخلية التي تقتضي "وجود مبدإ استلزامي ضامن للتواصل والتفاهم بين المتحاورين"[(1)]، فمبدأ التعاون هو الضامن لسيرورة الأفعال الكلامية وفق منطقٍ معينٍ يحتكِم إليه المتحاورون.

إن تتبع خصوصيات الخطاب، مهما كان نوعه أو جنسه، من خلال ملفوظاته وأفعاله الكلامية، يجعل الطرح التداولي يقدم نتائجَ جديدةً في فهم دينامية الخطاب المتسارعة والمتحولة باستمرار، وبالتالي فهم سيرورات التأويل والاستدلال، وهنا تأتي أهمية تتبع سلسلة الأفعال الكلامية باعتبارها ملفوظات خطابية خاضعة لدينامية ومنطق معينين، وكذلك لمنطق تأتي "قواعده لتربط الأقوال

بالأعمال التي تنجزها"[2]. فالأقوال تنجز أفعالا وأعمالا وأحداثا، ولا تكتفي بالوصف والإخبار، لهذا يتعقّد منطق الخطاب، ويصعب فهمه بنيويا، خارج سياق تداوله، فتُستدعى المقاربة التداولية الموسعة مفاهيمها المنطقية والسياقية بوصفها مفتاحا تأويليا[3] شاملا لدينامية الملفوظات والأفعال الكلامية.

هذا المفتاح التأويلي التي تقدمه التداولية الموسعة يجعلنا نتابع دينامية الملفوظات في الخطاب القرآني من خلال سورة مريم والخطاب الحواري القائم بين النبي ابراهيم وأبيه آزر، والذي جاء الملفوظ الأول منه ليعبر عن مجمل قضية الخطاب ومقصديته الكلية، فحين نتأمل هذا ملفوظ " **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** "[4] نجده فعلا كلاميا ابتدائيا، وهو فعل القضية من منظور فان دايك، لأنه يحمل قضية أساسية تتجسد في عدّة أفعال كلامية جزئية (أفعال النصح والتوجيه)، وهذه القضية التي يحملها هي إثبات الصدق لإبراهيم والنبوّة، وهي بمثابة البنية الكبرى التي ستتفرع إلى بنيات جزئية تترابط فيما بينها لتشكل كلاّ منسجما عبر ملفوظات تتحكم فيها دينامية خاصة .

أما إذا نظرنا إلى هذا الملفوظ الخطابي نفسه، من منظور التداولية الوظيفية لصاحبها سيمون دايك، فسنجده، بوصفه فعلا كلاميا، بمثابة البؤرة الكبرى، وبالتحديد، هو بؤرة المقابلة، والتي يعرفها أحمد المتوكل في كتابه الوظائف التداولية في اللغة العربية بأنها " البؤرة التي تسند إلى المكوّن الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكر ورودها"[5]. وقد جاء هذا الفعل الكلامي ليؤكد صدق النبوة وينفي الشك الذي قد يحوم في ذهن المخاطَب أو المتلقي لهذا الخطاب في كليته، والآب آزر كان يشك في صدق خطاب الابن ونبوته .

إنّ مفهومي البنية الكبرى وفعل القضية يتشابهان كثيرا، إلى حد التطابق مع مفهوم البؤرة في طرح سيمون دايك، وهذا ما يجعل القراءة التداولية الموسعة لا تكتفي بمفاهيم أوستين وسيرل وغرايس، وإنما تسعى إلى مقارنة المفاهيم أثناء تطبيقها واشتغالها خطابيا.

ومن ثم، فحين تناول الملفوظ الأولَ نفسَه من منظور أوستين، فسنعتبره فعلا كلاميا إنشائيا، أمّا القوة الإنجازية التي يحملها، فيمكن استخلاصها من الفعل " أُذكر " الذي يفيد سلطة الأمر وقوته، وبالتالي فستكون القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي هي التوجيه الإلزامي نحو فعل الإيمان، أما المحتوى القضوي الذي يحمله هذا الفعل الكلامي فهو يتطابق مع فعل القضية والبؤرة عند فان دايك وسيمون دايك، على التوالي، لأنه تأكيد على صدق إبراهيم ونبوته، ومن ثم المطالبة بالإيمان به كنبي مرسل من الله عز وجلّ. وهنا يكمن الفعل التأثيري المحوري داخل هذا الخطاب.

إذا حاولنا موضعة هذا الفعل الكلامي في التقسيم الخماسي الذي اقترحه أوستين، فسنضعه في صنف الأحكام والتوجيهات التي تصدر من حكم أو قاضٍ، وليس من الضروري أن تكون نهائية،

فهي قد تكون عبارة عن تقدير أو تقسيم فالأمر، إذن، يتعلق بإصدار حكم حول ما يُكشف بصدد حدث أو قيمة، ولكن، ولأسباب مختلفة يصعب التأكد منها"[6]. فالحاكم والقاضي والآمر والناهي والمقيّم في هذا الخطاب هو الله عز وجل، ولكن أمره وحكمه هذا هو بالضرورة نهائي، نظرا إلى المكانة التي يحتلها في السياق العام للخطاب وخارجه. بالإضافة إلى أن هذا الخطاب موجه للانسانية جمعاء كي تعتبر من قصص الأنبياء وأقوامهم.

إن النظر إلى هذا الفعل الكلامي من منظور مبدأ الاستلزام التخاطبي، يُبيّن أن مدلوله يتجاوز المعنى الحرفي/ المباشر، إذ "يمكّن أحيانا المعنى الوضعي للكلمات المستعملة من تحديد ما هو فيها من استلزام، فضلا عن مساعدته على تحديد ما قيل"[7] فالمتلقي هنا غير مطالب بالذِّكر والكلام، من الناحية الصوتية لهذا الفعل، وإنما هو يستلزم معنى آخر غير حرفي، وهو المطالبة بالإيمان القلبي الداخلي بالقضية، بالإضافة إلى إظهارها وتجسيدها. إذ إنّ مرتبة الأب أرفع وأعلى من مرتبة الابن، إضافة إلى المكانة الاجتماعية التي يحتلها أب إبراهيم ،آزر، حيث يمثل علية القوم.

إذا تناولنا ملفوظ "**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا**"[8]، فيمكن اعتباره فعلا كلاميا إنشائيا يحمل في قوته الإنجازية معنى السؤال والاستفهام عن موضوع معين غير معروف لدى السائل. لكن إذا حاولنا أن نتأكد من دلالته المقصودة عبر توظيف التحليل الاستدلالي الذي اقترحه سيرل، والذي مفاده أن الفعل الابتدائي غير المباشر ينزاح عن الفعل الثانوي الحرفي[9]، وتتم عملية الكشف عن هذا الانزياح، من منظور سيرل عبر الاستعانة بمبدأين من مبادئ غرايس، التي ذكرها في مقالته الشهيرة **(المنطق والمحادثة)**، وهذان المبدآن أعاد سيرل صياغتهما على الشكل الآتي"[10]:

- معرفة الخلفية المعرفية المشتركة بين (المتكلم والمتلقي)،
- القدرة على ممارسة الاستدلال العقلي من قبل المتلقي خصوصا.

إنّ الخلفية المعرفية للمشتركين في الخطاب مهمة، وبالخصوص، خلفية إبراهيم عليه السلام المعرفية، إذ هو نبي الله، وهو عالم بجواب ذلك السؤال، هذا إذا حاولنا التأمل في الخلفية المعرفية من زاوية سياقية غير البنية النصية المحايثة، أمّا إذا حاولنا استنباط تلك الخلفية المعرفية التي يمتلكها النبي إبراهيم عليه السلام، فسنجد فعل القضية الابتدائي أو البؤرة بمفهوم سيمون دايك خير دليل نصي محايث للعلم الذي يمتلكه الطارح لهذا السؤال الذي ينزاح إلى قوة إنجازية غير الاستغراب، وإنما الاستنكار ورفض الأمر، وهذا الأمر يحيل إلى حضور قانون التأدب الذي سنتطرق إليه في المبحث الثاني.

2- المبحث الثاني: قانون التأدب وانتظام الخطاب.

حين ننتقل إلى البحث عن خصوصية قانون التأدب عبر القراءة التداولية التجزيئية للملفوظ الواحد، فسنجد هذا الملفوظ "إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا"، يتكوّن من عدة أفعال كلامية أولها : "قال لأبيه" وهو فعل كلامي وصفي إخباري (لأن زمن الفعل هو الماضي وليس الأمر الذي يدلّ في كثير من الأحيان على الفعل الكلامي الإنشائي) يمتلك فعلا متضمنا في القول مفاده الإخبار بحدوث التواصل بين الابن إبراهيم والأب آزر.

أمّا إذا نظرنا إلى ملفوظ :"يا أبت" فسنجده فعلا كلاميا يفيد النداء لغاية إقامة التواصل مع الأب من أجل إقناعه بصدق وصحة البؤرة الكبرى للخطاب.

يحتوي ملفوظ "يا أبت" نوعا من **الترغيب المؤدّب** لأن هذا الفعل الكلامي يحتوي على مبدأ التأدب الذي صاغته روبين لاكوف، وفرعته إلى ثلاث قواعد تساهم في تهذيب الخطاب، وهي:[11]

قاعدة التعفف: لا تفرض نفسك على المرسل إليه.

قاعدة التخيير: لتجعل المخاطب يتخذ قراره بنفسه.

قاعدة التودد: لتظهر الودّ للمرسل إليه.

وإذا تأملنا هذا الفعل بدقة نجد أن القاعدتين الأوليتين تظهران بخفوت، لكنهما موجودتان في باقي الأفعال الكلامية الأخرى، بشكل زئبقي سنحاول كشف ديناميته لاحقا، لكن القاعدة الثالثة نلفيها ظاهرة بقوة في هذا الفعل الكلامي، وهذا راجع إلى السياق الاجتماعي، أي الإنكار والتنكّر لهذه العبادة الخاطئة.

يأتي الملفوظ الموالي مركّبا للضرورة الخطابية، فملفوظ :" **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا** "[12]، يتشكّل من ثلاثة أفعال أساسية، أولها الفعل الكلامي "يا أبت" الذي يفيد النداء والدعوة لكن بطريقة مؤدبة، حسب لاكوف لكن هذا الفعل إذا وقع في سياق لغوي من أفعال كلامية أخرى يمكن أن يفقد قاعدة من قواعد التأدب الثلاث، وهو الحال في هذا الفعل الكلامي الذي فقد قاعدة للتخيير، وهذا عبر توظيف فعل الكلام :"اتبعني أهدك صراطا سويّاً" الذي تكمن قوته الإنجازية في معناه الحرفي الذي يفيد الأمر والتوجيه القسري، ولكن على الرغم من سقوط قاعدة من قواعد التأدب إلا أن الفعل الكلامي لم يخرج في قوته الإنجازية عن الترغيب والدعوة إلى الله. ولم تختل بنية الخطاب من منظور التأدب، إلا نسبيا.

إن الفعل الكلامي الثاني الموجود في هذا الملفوظ، هو "إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك" هو فعل كلامي إخباري وصفي أما محتواه القضوي، فهو التأكيد على امتلاكه للعلم والمعرفة، وهو فعل حجاجي يسعى ضمن مجموعة أخرى من الأفعال إلى الدفاع عن فعل القضية/البؤرة. أما الفعل

التأثيري الموجود في هذا الملفوظ، فهو نفسه الموجود في الفعل الكلامي الابتدائي الموجود في هذا الخطاب.

لقد كان هذا الفعل، كذلك، مساهما في إنقاص درجة التأدب من الفعل الكلامي"يا أبت"، فقد فَقَدَ قاعدة التعفف، وزاد الضغط في بنية الخطاب من قبل المتكلم على السامع.

إذا لاحظنا الفعل الكلامي :"اتبعني أهدك صراطا مستقيما" نجده فعلا إنشائيا، أما قوته الإنجازية، فهي الترغيب والإغراء[13]، فبعدما كان الإغراء فعلا تأثيريا في الأفعال الأولى أصبح فعلا متضمنا في القول/ قوة إنجازية وهذا راجع بالأساس إلى التحوّل الذي حدث على مستوى الاستراتيجيات الخطابية المستعملة من قبل المتكلم، حيث حدث تحوّل من التلميح إلى التقرير. كما كان يقدم له الحجة : إني قد جاءني....ثم يرغّبه في الانضمام والانتصاح.

يستمر الصراع التداولي بين مبدأ التأدب وبنية الخطاب التناصحية من خلال ملفوظ :" **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا** "[14]، فهذا الملفوظ مركّب يتكوّن من ثلاثة أفعال كلامية. أولها :"يا أبت" الذي بدأ يفقد مبدأ التأدب نتيجة فقدان وغياب القواعد الثلاث، فقد غاب التودّد لأن هنالك تحوّلا من الترغيب إلى الترهيب والتحذير[15]، وقد غابت، كذلك قاعدة التخيير لأن إبراهيم لم يترك له مجالا للاختيار في نطاق فعل الأمر الذي وجهه إليه. وقد فُقدت قاعدة التعفّف بسبب التكرار الكبير لفعل الكلام التأثيري : "يا أبت".

القارئ التداولي لملفوظ "لا تعبد الشيطان" يجده فعلا كلاميا إنشائيا، وقوته الإنجازية المباشرة هي الأمر، أمّا قوته الإنجازية التي يكن استخلاصها عبر الاستدلالات العقلية التي تحدث عنها سيرل، فهي الطلب وهذا نتيجة للخلفية الاجتماعية والمقامية التي يحتلها المتخاطبون وخصوصا في كونه يحاور أباه. إذا أخذنا بمفهوم الملاءمة لدى سبربر وولسن[16].

يأتي الفعل الكلامي الموجود في "إنّ الشّيطان كان للرحمن عصيا" ليشكّل فعلا خبريا وصفيا مركزيا داخل بنية الخطاب. أما قوته الإنجازية، فهي التأكيد والإصرار على فكرة كفر الشيطان. وفي الحقيقة يمكن اعتبار هذا الفعل بمثابة سبب للفعل الإنشائي الذي سبقه مباشرة. وهنا يتحقق مفهوما السببية والإفادة.

النظر من زاوية تداولية تجزيئية لبنية هذا الخطاب، يظهر أن الفعل الكلامي يتكوّن، في هذا الملفوظ:" **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** "[17] من فعلين كلامين رئيسين هما : "يا أبت"، وما يليها. أما فعل الكلام يا أبت، فنلاحظ أنه يختلف عن سابقيه، على الرغم من تشابه البنية اللغوية والدلالة الوضعية للجملة. إلا أنه هنا، ضمن هذا السياق النصي والتداولي يعود إليه نوع أو سمة من سمات التأدّب نتيجة عودة مبدأ التودّد الذي يظهر في البنية

النصية من خلال الفعل الكلامي "إني أخاف أن يمسك.." أما الفعل الكلامي "إني أخاف.." فهو وضعي وقوته الإنجازية هي الاستعطاف والتودد إلى الأب.

إن الفعل الكلامي الذي أنتجه آزر في رده على ابنه إبراهيم عليه السلام كان كالآتي:" **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** "[18] يمكن تقسيمه إلى نوعين رئيسين ، هما :" أراغب أنت عن آلهتي " وهذا فعل كلامي إخباري وصفي في جزئه الأول (قال) وقوته الإنجازية، هي الإخبار بالرد على الابن . أما القسم الثاني:"أراغب أنت عن آلهتي" فهو فعل إنشائي، يحمل قوة إنجازية في المدلول الحرفي للفعل الكلامي، وهي التساؤل والاستفهام، لكن في المدلول غير الحرفي أي الفعل الأولي، هي الاستغراب والإنكار ،هذا فعل كلامي موازلفعل كلامي استفهامي قام به إبراهيم في سبيل المحاججة.

يشكّل ملفوظ :"يا إبراهيم" فعلا كلاميا، محتواه القضوي هو النداء من أجل إقامة التواصل، لكن إذا عالجناه من منظور لاكوف في مبدئها الخاص بالتأدب، فسنجد أن هذا الفعل الكلامي، من ناحية التأدب المترابط داخل بنية الخطاب تنقصه قاعدة التخيير، وهذا واضح من خلال الفعل الكلامي التالي – مباشرة لهذا الفعل الكلامي- ف:"لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليّا"، فهذا فعل إنشائي، محتواه القضوي هو المطالبة بالكف عن هذه الدعوة والتوبة عنها، وإما تنفيذ الهجر والابتعاد عنه، وهنا يبرز غياب عنصر التخيير، حيث طرح آزر عنصرين كل منهما أكثر سوءاً من الآخر من ناحية الأثر النفسي لسيدنا إبراهيم عليه السلام. وقد غابت كذلك قاعدة التودد التي تقتضي في الغالب إلى إظهار الصداقة والود، والرحمة للمتلقي، وفي الحقيقة هذا يعكس الثقافة الخشنة التي كان عليها القوم الكافرون بالله.

في الحقيقة، إن هذه الزئبقية، في حضور وغياب قاعدة التأدب راجعة بالأساس إلى بنية الخطاب التواصلية وإلى المقام التخاطبي الذي يقتضي التنويع بين الاستراتيجيات والانتقال من الترغيب إلى الترهيب، والتخويف والتحذير، لإحداث أثر (فعل تأثيري) في ذهن المتلقي، بحيث يمكن أن يغيّر إبراهيم، من خلالها، وجهة نظر أبيه، عبر إعادة قراءة لبعض المعلومات الراسخة في الذهنية الجماعية.

يتكون الملفوظ الآتي من ثلاثة أفعال كلامية، لم يغب عنها مبدأ التأدب، فملفوظ :" **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** "[19]، مشكّل من فعل الكلام "قال سلام عليكم" وهو إخباري ووصفي، أما قوته المتضمنة في الفعل، فهي إقامته تواصل، وكذلك الكفّ عن التواصل عند الوصول إلى نهاية الخطاب، وهو فعل مقترن في الثقافة العربية بحسن الكلام والتأدب.

يأتي الفعل الكلامي الثاني، لاستكمال بنية الخطاب المتسامحة في عمومها فملفوظ :"سأستغفر لك ربي" هو فعل إخباري وصفي ومحتواه القضوي الذي يحمله هو طلب الغفران للأب من قبل

الابن، وإذا حاولنا أن نموضع هذا الفعل في التقييم الخماسي لأوستين، فسيكون ضمن السلوكيات، التي تخص مجموعة منتشرة لا يمكن حصر أطرافها بسهولة، ولكنها تندرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعية وأمثلتها : الاعتذارات ، التهاني، التعازي، القسم والقذف، والتحدي[20]. والدعاء هنا يمكن أن يكون من السلوكيات، كما يمكن له أن يكون من الوجدانيات التي تختص بطلب شيء معين من الخالق عزّ وجلّ.

إن هذا الملفوظ الجزئي الختامي :"إنه كان بي حفيا" يمثل فعلا كلاميا إخباريا ووصفيا، وقوته الإنجازية هي إبراز المكانة التي يحتلها النبي إبراهيم، وهذه كذلك محاولة أخيرة للمحاججة، لأنها تحمل فعلا تأثيريا يشابه فعل القضية: الذي يسعى إلى استمالة المخاطب ليتوب عن إيمانه الخاطئ.

إن هذا الحكم يعتبر بمثابة سبب رئيس لطلب الاستغفار في الفعل الكلامي الأسبق منه مباشرة، وهنا، تتجلى قاعدة السببية التي تساهم أيّما مساهمة في إقامة وضع الإنسجام داخل بنية الخطابات كلّها.

يأتي الملفوظ الأخير في بنية هذا الخطاب، مشكّلا بدوره من عدّة أفعال كلامية جزئية مترابطة في كليتها وشموليتها. ففعل الكلام:" **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** "[21]يحمل رؤية متسامحة، فملفوظ "أعتزلكم" فعل إخباري وصفي محتواه القضوي هو الابتعاد عن القوم الكافرين، أما الفعل التأثيري الذي قد يملكه، فهو التأكيد على امتلاكه للحقيقة وللعلم الذي يخرجهم من غياهب الكفر. وهذا الفعل يمكن إدراجه في قسم السلوكيات.

أما الفعل الكلامي:"ما تدعون من دون الله " هو فعل إخباري وصفي، و قوته الإنجازية هي إنكار الحق على الكفار. وقد جاء هذا الفعل الكلامي كسبب لحدوث الفعل الكلامي الأسبق عنه مباشرة.

تترابط الأفعال الكلامية بقوة داخل هذا الخطاب، وهذا الترابط ظاهر من خلال ملفوظ :"وأدعو ربي، عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا"، فهو فعل إخباري وصفي يحمل قوة إنجازية مفادها الرغبة في الدعاء لغرض الاستغفار، ومحتوى هذا الفعل الكلامي هو: سأقوم بدعاء الله عز وجل ليغفر لي وإياكم، لكن أتمنى أن يتقبل مني دعواتي وألا أنال الشقاء من عنده، وهذا الفعل الكلامي اختصر الحوار في مجمله.

خاتمة:

لقد تضافرت في هذا الخطاب عدة أفعال كلامية كبرى، تتمظهر في كامل أنسجة الخطاب وهندسته الانسجامية والبنيوية، فتقريبا نجد ضمن كل آية كريمة فعلا كلاميا مركزيا ومحوريا، بحيث تتفرع منه أفعال كلامية جزئية تترابط فيما بينها في انتظام شمولي وتأثيري نوعي في طبيعة

أفعال الكلام الأخرى، على الرغم من ثبات الصياغة الوضعية وواحديتها، وهذا ما هو ملاحظ في ملاحظ الكلام :"يا أبت" الذي تكرر أربع مرات ولكن بدرجات متفاوتة من حيث الترغيب والترهيب.

من ناحية أخرى إذا حاولنا تبرير أو تعليل فشل فعل الكلام الابتدائي /فعل القضية، أو مفهوم البؤرة حسب سيمون دايك. فما يمكن أن نقدمه، سنستقيه من مفهوم الملاءمة لسبربر وولسن، حيث نخلص إلى أنه لا تتوفر ملاءمة بين بينية النص/ الخطاب والسياق الثقافي والاجتماعي وحتى السياسي الذي جرى فيه هذا الخطاب خصوصا في عدم احترام السلّمية والتراتبية التي تحكم علاقة الابن بالأب، حيث في الغالب، ومن المنطقي، أن يوجّه الأب الأوامرَ والتوجيهات لا الابن.

ويتبين أن الخطاب القرآني يعيد قراءة النظريات التداولية، من خلال مراجعة مفاهمها، فقانون التأدب وجدناه مكتملا داخل بنية النص، على الرغم من غياب قانون التخيير. وهذه النتيجة نموذج مصغر للإمكانات المعرفية والتواصلية التي يحتويها النص القرآني، والتي يمكن من خلالها قراءة النظريات ومراجعتها، فننتقل من قراءة النص القرآني عبر النظريات، إلى قراءة النظريات عبر النص القرآني.

الهوامش:

* تجسّد هذا التخوف بطريقة غير مباشرة في الكتاب التعليمي استراتيجيات الخطاب للشهري، حيث إننا لم نجد صاحبه يتناول بالتحليل الغربي أية آية قرآنية.

[1] - بول غرايس، المنطق والمحادثة، ترجمة محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج.2، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2012، ص 612.

[2] - جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عزالدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص 513.

[3] - هذا المفتاح التأويلي الذي تطرحه التداولية يجعلها قادرة على اختراق عدة ميادين من بينها التعليميات التي تلجأ إلى دراسة وضعية التعلم ومستويات الخطاب الموجه للتلميذ والمهارات التي يجب أن يكتسبها. وللمزيد في هذا الموضوع ينظر: أحمد صانع، تطبيق المنهج التداولي في تدريس اللغة العربية، مجلة لغة وكلام، مختبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي، غليزان،، المجلد 3، العدد 1 ، 2017، ص149، 150.

[4] - سورة مريم، الآية 41.

[5] - أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص 29.

[6] - جون لانشو أوستين ، القول من حيث هو فعل ، نظرية أفعال الكلام ،ترجمة: محمد يحياتن، ط.2، عالم الكتب للنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2011، ص 124، 125.

[7] بول غرايس، المنطق والمحادثة، ص 617.

[8] - سورة مريم، الآية 42.

[9]- John.R.Searle,Sens et expression, études de théorie des actes de langage ; traduit par : Joelle Prouste , les éditions de minuits, Paris, 1982, pp 75-76.

[10]- Voir. Ibid, p 73.

[11] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 100.

[12] - سورة مريم، الآية 43.

[13] - الإغراء عمل توجيهي مضاد للتحذير، فالتحذير هو توجيه إبعاد، في حين يكون الإغراء توجيه تقريب. للمزيد ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 358.

[14] - سورة مريم ، الآية 44.

[15] - هو آلية من آليات التوجيه، من خلال حضور الصراحة. ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 355.

[16] - ينظر، دان سبربر وديدر ولسن، الإفادة، ترجمة: عفاف موقو، ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص 585 حتى 595.

[17] - سورة مريم، الآية 45.

[18] - سورة مريم، الآية 46.

19 - سورة مريم، الآية 47.

[20] - ينظر: جون لانشو أوستين، القول من حيث هو فعل، نظرية أفعال الكلام، ص ص 124،125.

[21] - سورة مريم ، الآية 48.